هل يمكنني أن أتأكَّد من خلاصي؟

تمدَّنا كُتيِّبات "**أسئلة مصيريَّة**" بمقدمة مُوجزة لبعض الحقائق المسيحيَّة المُحدَّدة. تشمل هذه المجموعة الكبيرة كُتيِّبات مثل:

هل هذه هي الأيام الأخيرة؟

هل يتحكَّم الله في كل شيء؟

كيف يَسْري عليَّ ناموس الله؟

هل يمكنني معرفة مشيئة الله؟

ماذا أفعل بذنبي؟

ما هي الحكمة الكتابيَّة؟

هل يمكنني الحصول على الفرح في حياتي؟

ما هي العلاقة بين الكنيسة والدولة؟

هل تغيِّر الصلاة شيئًا؟

كيف يجب أن أعيش في هذا العالم؟

كيف ينبغي أن أفكّر في المال؟

ما هو الثالوث؟

من هو يسوع؟

هل يمكنني أن أتأكَّد من خلاصي؟

أسئلة مصيريَّة

أر. سي. سبرول

© 2010 by R.C. Sproul.
Originally Published by Reformation Trust Publishing (a division of Ligonier Ministries), under the title *Can I Be Sure I'm Saved?* Translated by permission. All rights reserved.
ISBN: 978-1-64289-042-6

اسم الكتاب: هل يمكنني أن أتأكَّد من خلاصي؟
المؤلف: أر. سي. سبرول
© 2022 خدمات ليجونير
الناشر: خدمة ذهن جديد
www.zehngadid.org
مسؤول الخدمة والمشرف على الترجمة: الدكتور/ ياسر فرح
المطبعة: سان مارك
رقم الإيداع: 2022/9573
الترقيم الدولي: 978-977-94-1644-1

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة. يُمنع إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب، دون إذن خطي مسبق من الناشر، كما يُمنع تخزينه بأي شكل يسمح باسترجاعه وإعادة استعماله. ويُمنع نقله بأي شكل من الأشكال وبأيَّة وسيلة، سواء كانت إلكترونيَّة، آليَّة، بالاستنساخ الفوتوغرافي أو بالتسجيل الصوتي وخلافه. ويُستثنى من هذا حصريًا الاقتباسات القصيرة الموضوعة بين هلالين مع ذكر مصدر الاقتباس بالتوثيق العلمي.

اقتباسات النصوص الكتابيَّة مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

Printed in Egypt

المحتويات

الفصل الأول: الصراع من أجل اليقين ٧

الفصل الثاني: أربع فئاتٍ من الناس ٣٣

الفصل الثالث: اليقين المُزيَّف ٥٣

الفصل الرابع: اكتساب اليقين الحقيقيِّ ٧٣

الفصل الخامس: مصدر اليقين الكامل ٩٧

الفصل الأول

الصراع من أجل اليقين

هنـاك نـصٌّ فـي العهـد الجديـد أُؤمـنُ أنَّـه واحـدٌ مـن أكثـر النصـوص رُعبًـا في الكتـاب المُقدَّس، وقد صدر عن شفتي يسوع نفسه، في نهاية الموعظة على الجبل.

نحـن نميـلُ إلـى اعتبـار الموعظـة علـى الجبـل كتصريـحٍ مُبهِـجٍ إيجابـيٍّ أعلنـه ربنـا. علـى كلِّ حـالٍ، إنَّ التصريـح الإيجابـي متضمَّـن فـي الموعظـة علـى الجبل التـي ألقـى فيهـا يسـوع التطويبـات: «**طُوبَـى لِلْمَسَـاكِينِ بِالـرُّوحِ... طُوبَـى لِلْحَزَانَـى... طُوبَـى لِلْوُدَعَـاءِ...**»

وهكذا (متى ٥: ٣-١٢). فبسبب الموعظة على الجبل، اشتهر يسوع بأنَّه واعظٌ يهتمُّ بالأمور الإيجابيَّة، وليس السلبيَّة. لكننا غالبًا ما نتجاهلُ ذروة تلك الموعظة، حيث يقولُ يسوع:

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى ٧: ٢١-٢٣).

يعطينا يسوع هنا لمحةً مُسبقةً عن الدينونة الأخيرة. فهو يقولُ إنَّ الناس سيأتون إليه، ويخاطبونه بلقبِ

«الـرَّبُّ»، وسيقولون ليسـوع: «يـا رَبُّ، لقد فعلنـا أشـياءً رائعـة كثيـرة باسـمك. خدمناك، وبشَّـرنا باسـمك، وأخرجنا شـياطين، وفعلنـا كل هـذه الأمـور». لكـن يقـولُ يسـوع: «سـألتفت إلـى هـؤلاء النـاس قائـلًا: «رجـاءً ارحلـوا». هـو لـم يكتـفِ بالقـول: «إنـي لا أعرفكم»، بـل «**لَـمْ أَعْرِفْكُمْ قَـطُّ، يَـا فَاعِلِـي الإِثْمِ**».

الأمـر المؤثِّـر بشـكلٍ خـاصٍّ فـي هـذا التحذيـر المُرعب هـو أنَّـه يبـدأُ بالقـول: «**لَيْسَ كُلُّ مَـنْ يَقُـولُ لِـي: يَـا رَبُّ، يَـا رَبُّ! يَدْخُـلُ مَلَكُـوتَ السَّـمَاوَاتِ**»، ثـم يكـرِّرُ ذلـك بقوله: «**كَثِيـرُونَ سَيَقُولُونَ لِـي فِـي ذٰلِكَ الْيَـوْمِ: يَـا رَبُّ، يَا رَبُّ**».

«يَا رَبُّ، يَا رَبُّ»

لا يوجـد سـوى قرابـة خمسـة عشـر حدثًـا فـي كلِّ الكتاب المُقدَّس يُخاطَـب فيهـم الشـخص بتكـرار اسـمه أو اسـمها. اسـمحوا لـي أن أذكـرُ القليـل منهـم:

- كان إبراهيم على جبل المُرِيَّا وكان على وشك غرز السكِّين في صدر ابنه إسحاق، حينَ تدخَّل الله في اللحظة الأخيرة قائلًا: «**إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ! ... لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ**» (تكوين ٢٢: ١١-١٢).

- حين كان يعقوب خائفًا من النزول إلى مصر وأتى الله ليطمئنه قائلًا: «**يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!**» (تكوين ٤٦: ٢).

- حين كلَّم الله مُوسَى من العُلَّيقة المُشتعلة في جبل حوريب قائلًا: «**مُوسَى، مُوسَى!**» (خروج ٣: ٤).

- حين نادى الله الصبي صموئيل في مُنتصف الليل قائلًا: «**صَمُوئِيلُ، صَمُوئِيلُ**» (١صموئيل ٣: ١٠).

- حين وبَّخ يسوع مَرثَا في بيت عنيا، وقال لها: «**مَرْثَا، مَرْثَا**» (لوقا ١٠ :٤١).

- حين رثا يسوع على مدينة أورشليم باكيًا: «**يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!**» (لوقا ١٣: ٤٣).

- حين قَال بطرس إنَّهُ سيكون ثابتًا كلَّ حينٍ، وقالَ يسوع له: «**سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ!**» (لوقا ٢٢: ٣١).

- حين واجه يسوع شاول في طريقهِ إلى دمشق، قائلًا: «**شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟**» (أعمال الرسل ٩: ٤).

- المَثَل الأكثر تأثيرًا على الإطلاق في الكتاب المُقدَّس نجده على الصليب حين صرخَ المسيح: «**إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**» (متى ٢٧: ٤٦).

هذه الصيغة النحويَّة النادرة لها أهميَّة كبيرة في اللغة العبريَّة. فعندما يُكرِّر أحدهم صيغة المُخاطبة الشخصيَّة فهو يُعبِّر عن علاقةٍ شخصيَّةٍ حميميَّةٍ مع الشخص الذي يخاطبهُ.

لذا، يقولُ يسوع إنَّه في اليوم الأخير لن يأتي الناس إليه فحسب قائلين: «يا رَبُّ، نحن خاصَّتك، نحن لك»، لكنَّهم سَيخاطبونه بتعبيرات تدل على العلاقة الحميميَّة والشخصيَّة معه، إذ سيقولون: «**يَا رَبُّ، يَا رَبُّ**»، كما لو أنَّهم يعرفونه بطريقةٍ شخصيَّةٍ عميقةٍ. لكن بالرغم مِن هذا الافتراض بوجود علاقة حميميَّة،

سيقول لهم يسوع: «رجاءً ارحلوا. أَنَا لَا أَعْرِفُكُمْ يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ».

ما يقوله يسوع هنا هو أنَّ أُناسًا كثيرين يعلنون أنَّهم مؤمنون، وهم يستخدمون اسم المسيح وينادونه بلقبه المجيد: «يا رَبُّ»، ولكن فعليًّا هم ليسوا في ملكوت الله على الإطلاق، ولا ينتمون إلى يسوع، ولن ينجوا من أو في الدينونة الأخيرةِ. إنَّ هذا الأمر يثيرُ الرعب، لأنَّه لا يتكلَّم هنا عن أشخاصٍ خارج إطار الكنيسة، بل هؤلاء أشخاصٌ مُنغمسون في حياةِ الكنيسةِ ويشتركون بشكلٍ كبيرٍ في خدمةِ الكنيسةِ، ورُبَّما اكتسبوا سمعة أنَّهم مؤمنون، لكنَّ يسوع لا يعرفهم، ويسوع سيطردهم من محضره.

تَطرَّقتُ إلى هذا الأمر في بداية هذا الكُتيِّب لأَنَّنا عندما نُعلِن عن إيماننا مُجاهرةً كمؤمنين يجب أن نسأل

أنفسنا: «كيف نعلَم أنَّنا لن نكون بين هؤلاء الأشخاص الذين سيأتون في الدينونة الأَخيرة مُتوقِّعين الدخول إلى الملكوت، مُنادين يسوع بألقابٍ حميميَّةٍ، وسيُطرَدون؟» كيف نعلم أنَّ ثقتنا بحالتنا الروحيَّة وبأنَّنا في حالة النعمة ليست في غير محلها؟ كيف نعلم أنَّنا لم نخدع أنفسنا؟ كيف يمكننا أن نتأكَّد من خلاصنا؟

عقيدة مُثيرة للجَدلِ

لقُرُونٍ، أثارت قضيَّة «يَقين الخلاص» جدلًا في الكنيسة. حيثُ تساءلت العديد مِن الكنائس حول هذا الأمر للدرجة التي شكُّوا فيها بإمكانية نوال هذا اليَقين.

على سبيل المثال، في مَجْمَعٍ ترنِت في القرن السادس عشر، أنكرت كنيسة روما الكاثوليكيَّة إمكانية

حصول الشخص على «يَقين الخلاص» إلاَّ في حالاتٍ نادرةٍ. وعلى ذات المنوال أكملت كنيسة روما الكاثوليكيَّة تعليمها قائلةً، إنَّ الأشخاصَ الوحيدون الذين يُمكنهم أن يرتقوا إلى درجة «يَقين خلاصهم» في هذه الحياة، هم قدِّيسون استثنائيُّون يعطيهم الله إعلانًا خاصًا عن مكانتهم أمامه. وهكذا، لا يمكن للعضو المسيحيِّ العاديِّ في الكنيسة أنْ يتوقَّعَ أن يكون لديه يَقين للخلاص.

أقرَّت كنيسة روما الكاثوليكيَّة أخيرًا أنَّ مُعظم «الأمور اليقينيَّة»، مبنيَّة على الحدس، والرأي، والأفكار الشخصيَّة التي تأتي مِن قلوب الناس الذين يُعرِّفهم الكتاب المُقدَّس بأنَّهم ممتلئون بالخداع الرهيب. حيث يخبرُنا الكتاب المُقدَّس بأنَّ «**اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**» (إرميا ١٧: ٩)، لذلك مِن السهل علينا، كما تقول

كنيسة روما الكاثوليكيَّة، أن نخدعَ أنفسنا وأن نضعَ ثِقتنا في حالة أرواحنا بناءً على مُجرَّد رأي شخصي. وبالتالي، فإنَّ «يَقين الخلاص» لا يُمكن تأكيده إلاَّ بعملٍ إعلانيٍّ خاصٍ من الله.

ليست كنيسة روما الكاثوليكيَّة وحدها مَن تنكرُ عقيدة «يَقين الخلاص». يعتقدُ بعض «البروتستانتيِّين» أنَّ الشخص يمكنه أنْ يحصل على «يَقين الخلاص» لليوم الحالي فقط، ولكن لا يوجد يَقين للغد، لأنَّهم يؤمنون باحتماليَّة «هلاك المؤمن الحقيقي»، حيث يعتقدون أنَّ الشخص يُمكن أنْ يكون مؤمنًا في وقتٍ ما، لكنَّه أيضًا يمكنه أنْ يخون وأنْ يرتد عن هذا الإيمان ويفقد خلاصه. لهذا السبب، تاريخيًا، ارتبطت عقيدة يقين الخلاص ارتباطًا وثيقًا بعقيدة «مُثابرة القدِّيسين». لذلك، بينما تقول الكنيسة الرومانيَّة الكاثوليكيَّة إنَّه لا يمكنُنا الحصول على يَقينٍ إطلاقًا، يقولُ هؤلاء البروتستانت

إنَّـه يمكنُّنـا الحصـول علـى يَقيـنٍ لفتـرةٍ محـدودةٍ فقـط، فلا يمكنُّنا معرفة ما ستكون عليه حالتنا النهائيَّة.

أخيـرًا هنـاك «اللاهـوت المُصلَح»، وهـو اللاهوت الذي اعتنقـه شـخصيًّا، الـذي يُعلِّـمُ أنَّنـا لا يمكنُّنـا فقـط أنْ نعـرفُ اليـوم أنَّنـا مُقيمـون فـي حالـة مِـن النعمـة، ولكـن يمكنُّنـا أنْ نحصـل علـى «**يقيـنٍ كامـلٍ**» بأنَّنـا سـنظل فـي حالـة النعمـة فـي وقـتِ موتِنـا أيضًـا.

مَثَلُ الزارع

يتطـرَّقُ يسـوع فـي مثلـه عـن الـزارع، إلـى سـؤالٍ مهـم عـن: «مَـن يكـون الشـخص الـذي يَخلُـصُ بحـقٍّ؟ ومَن لا يكون؟»:

«فِـي ذَلِـكَ الْيَـوْمِ خَـرَجَ يَسُـوعُ مِـنَ الْبَيْـتِ وَجَلَـسَ عِنْـدَ الْبَحْـرِ، فَاجْتَمَـعَ إِلَيْـهِ جُمُوعٌ

كَثِيرَةٌ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ. وَالْجَمْعُ كُلُّهُ وَقَفَ عَلَى الشَّاطِئِ. فَكَلَّمَهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ قَائِلًا: «هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ. ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ». (متى ١٣: ١-٩)

مِـن الهـام ملاحظـة السـياق المباشـر الـذي وردَ فيـه هـذا المَثَـل الشـهير. فقبلـه مباشـرًا قـالَ أحدهـم ليسـوع: «**هُـوَذَا أُمُّـكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُـونَ خَارِجًا طَالِبِيـنَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ**» (متـى ١٢: ٤٧). لكـن أجابَـه يسـوع: «**مَـنْ هِـيَ أُمِّـي وَمَـنْ هُـمْ إِخْوَتـي؟**» (الآيـة ٤٨) ثُمَّ أشـارَ بيدهِ نحـوَ تلاميذهِ وقـالَ: «**هَـا أُمِّـي وَإِخْوَتِـي. لِأَنَّ مَـنْ يَصْنَـعُ مَشِـيئَةَ أَبِـي الَّـذِي فِـي السَّـمَاوَاتِ هُـوَ أَخِـي وَأُخْتِـي وَأُمِّـي**» (الآيتـان ٤٩-٥٠). قـالَ يسـوع إنَّ أخَيـه الحقيقي هـو ذاكَ الذي يفعل مشـيئة الآب، وليـسَ ببسـاطةٍ مـن قـرر أن يتبعـه.

علينـا أنْ نتذكَّـرَ دائمًـا أنَّ مـا مِـن أحـدٍ أرغـم يهـوذا علـى أنْ يكـونَ تلميـذا. بـل اختـارَ يهـوذا أنْ يَتْبَـعَ يسـوع؛ قـرَّرَ يهـوذا بنفسـهِ أنْ يُصبِـح تلميـذًا وأَنْ يدخُلَ إلى مدرسـة يسـوعَ، وهـو رافـقَ ربَّنـا خـلال خدمتـه الأرضيَّـة طـوال ثـلاث سـنوات. ومـع ذلـك نقـرأُ فـي العهـد الجديـد أنَّـه كان شـيطانًا (يوحنـا ٦: ٧٠)، وأنَّ يهـوذا لـم يهتـدِ

إلـى المسـيح بـكُلِّ صِـدقٍ، ثـمَّ سـقطَ مِـن النعمـةِ وضـلَّ؛ لكـن الفكـرة هـي أنَّـه علـى الرغـم مِـن اقترابـهِ مِـن يسـوع، إلَّا أنَّـه لـم يكـنْ أبـدًا رجـلًا مُؤمِنًـا حقيقيًّـا. هـذا يحُثُّنـا على التوقُّف قليلًا والتفكير في حالةِ نفوسِنا.

بعـد آيـاتٍ قليلـةٍ فـي إنجيـل متَّـى، قامَ يسـوع بتفسـيرِ مَثَل الـزارع، وهـذه واحـدة مِـن المـرَّات النـادرة فـي الأناجيـل التـي نقـرأُ فيهـا تفسـيرًا لمَثَـلٍ. أيضًـا، هـذا المَثَـل مُفيـد للغايـة حيـث يَختلـف فـي طريقـة تعلِيمه عـن المَثَـلِ العاديِّ. فالطريقـة الطبيعيَّـة لتفسـيرِ الأمثـالِ تُبيِّـنُ أنَّ المَثَـلَ يتضمَّنُ فِكـرةً واحـدةً بشـكلٍ عـامٍّ. لذلـك، مِـن الخطـر جـدًّا تَحْويـلُ جميـع الأمثـال إلـى قصـصٍ رمزيَّـةٍ، حيـثُ إنَّ القصـصَ الرمزيَّـة تتضمَّـنُ معنـىً مجازيًّـا مُنتشـرًا فـي القصَّـةِ. لكـن فـي هـذا المَثَـلُ، نحـن نتعامـلُ مـع قصَّـةٍ رمزيَّـةٍ، يسـتخلِصُ يسـوع مِنهـا أوجـه تطبيـق مختلفـة.

يبدأُ يسوع تفسيره قائلًا: «**فَاسْمَعُوا أَنْتُمْ مَثَلَ الزَّارِعِ: كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ وَلَا يَفْهَمُ، فَيَأْتِي الشِّرِّيرُ وَيَخْطَفُ مَا قَدْ زُرِعَ فِي قَلْبِهِ. هَذَا هُوَ الْمَزْرُوعُ عَلَى الطَّرِيقِ**» (متى ١٣: ١٨-١٩). إذًا، المجموعة الأولى التي يتكلَّمُ عنها تتمثَّلُ بالبذارِ التي سَقطت على الطريقِ. ففي القديم، في وقتِ الزراعة، كان ينثرُ المزارع البذار أوَّلًا، ومِن ثمَّ كان يحرثُ الأرض تحتها. لكن لو سقطت أي بذرة على الطريقِ فلا تُحرَثُ الأرض تحتها، ولا تتأصَّلُ جذورها في الأرض، وهذه البذار المُتبقِّية تأكلُها الطيور ببساطةٍ. وشَبَّهَ يسوع الطيور بالشيطان. بالحقِّ الكثير مِن الأشخاصِ مِثْل هذه البذار، يَسْمعُون الوعظ برسالةِ الإنجيل، لكنَّ الإنجيلَ لا يترك فيهم أيَّ أثرٍ، ليس لديهم أصلٌ في حياتهم.

يتابعُ يسوع قائلًا: «**وَالْمَزْرُوعُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَحَالًا يَقْبَلُهَا بِفَرَحٍ، وَلكِنْ لَيْسَ**

لَـهُ أَصْلٌ فِـي ذَاتِـهِ، بَـلْ هُـوَ إِلَـى حِينٍ. فَـإِذَا حَـدَثَ ضِيـقٌ أَوِ اضْطِهَـادٌ مِـنْ أَجْـلِ الْكَلِمَـةِ فَحَـالًا يَعْثُـرُ» (الآيتـان ٢٠-٢١).

إذا حضـرتَ اجتمـاع كـرازي أو شـاهدتَه علـى التلفـازِ، ربمـا تَـرَى حشـودًا تتهافـتُ إلـى الناحيـة الأماميَّـة مِـن الكنيسـة تَجَاوُبًـا مـع دعـوة الإنْجيـل. فـي الواقـعِ، لقـد رأيـتُ ذات مـرَّة إحصـاء عـن حملـة كرازيَّـة دوليَّـة ضخمـة يُفتـرض أنَّ الملاييـن مِـن النـاس قـرَّرُا فيهـا تبعيَّـة المسـيح. عندمـا قـرأتُ ذلـك، تسـاءلتُ كـم مِـن هـذه القـرارات بتبعيَّـة المسـيح كانـت حقيقيَّـة فيمـا يتعلَّـق بتوبـةِ الشـخص وإيمانـه (تجديـده)، وكـم منهـا كانـت مُزيَّفـة. يحـبُّ الأشـخاص مـا يسـمعوهُ فـي هـذه الأحـداث، ورُبَّمـا يتأثَّـروا عاطفيًّـا وُيقـرِّروا أنْ يتبعـوا المسـيح. ومـع ذلـك، مِـن الحقائـق الثابتـة أن العديـد مِـن أولئـك الذيـن يتقدَّمـون إلـى الأمـام فـي الاجتماعـات الكرازيَّـة ليقـرِّروا تبعيَّتهـم

للمسيح سُرعان ما يتخلَّون عن التزاماهم كليًّا. غالبًا ما يكون تجاوبهم المُفاجئ والعفوي للإنجيل بلا أساس.

أنا لا أُريدُ أنْ أكونَ قاسيًا في تجاوبي تجاه الإحصاءات الكرازيَّة الناجحة لمِثل هذه الأحداث. أدركُ أنَّ إحدى المشاكل التي تُوَجِهُها خدمات الكرازة تتعلَّقُ بكيفيَّة قياسها لفَعاليَّة الخدمة. وتقومُ الكنيسة بفعل هذا الأمر عمومًا مِن خلال إحصاءِ عدد الأعْضاء في الكنيسة ومَدَى نُمُوِّهِم في مُدَّةٍ مِن الزمن. بينما تقومُ غالبًا الخدمات الكرازيَّة بفعل هذا الأمر مِن خلال إحصاءِ عدد الأشخاص الذين يتقدَّمون إلى الأمامِ، أو يرفَعون أيْدِيهُمْ، أو يُوقِّعون على بطاقةٍ، أو يُصلُّون صلاةً. إنَّ هذه الخدمات تُريد أنْ تقومَ بنوعٍ من الإحصاءات لمعرفة مدى تجاوب الناس. لكن كيف يَقيسُ المرء الواقع الروحيَّ؟ إنَّ كلَّ مَن شَارك في الخدمة الكرازيَّة يَعلَمُ أنَّه لا يمكننا أنْ نرى القلب. إذًا، أفضلُ أمرٍ يمكن

فعلـه هـو إحصـاء عـدد الأشـخاص الذيـن اتَّخـذُوا قـرارًا، بـأي طريقـة، سـواء برفع الأيـدي أو بالتوقيع علـى بطاقةٍ... إلـخ. لكـنَّ يسـوع يُحذِّرُنـا مِـن ذلـك هُنـا فـي مَثَـلِ الـزارع، بقوْلـهِ إنَّ كثيريـن سيسـمعون رسـالة الإنجيـل بفـرحٍ، لكنَّهم لا يسـتمرُّون فـي الإيمـان! وهـذا النـوع الثانـي مِثْـل البـذار التـي تقـعُ علـى الأماكـن المُحْجِـرَة، لكـنَّ الأرضَ مُسـطَّحةٌ جـدًّا بحيـثُ لا تسـتطيعُ البـذار أنْ تتجـذَّر فيهـا، وبمُجـرَّد أنْ تُشـرق الشـمس، تبـدأُ بإحـراق البـذار. نتيجـةٌ لذلـك، تمُـوتُ هـذه البـذار ولا تُعطـي ثمـرًا.

يخبرُنـا يسـوع أنَّ هـؤلاء الأشـخاص يرتـدُّون بسـببِ الضيقـات والاضطهـادات التـي تنشـأُ حتمًـا فـي طريـقِ الإيمـان.

يُفسِّـرُ يسـوع نـوع البـذار الثالـث، ويقـولُ: «**وَالْمَـزْرُوعُ بَيْـنَ الشَّـوْكِ هُـوَ الَّـذِي يَسْـمَعُ الْكَلِمَـةَ، وَهَـمُّ هَـذَا الْعَالَـمِ وَغُـرُورُ الْغِنَـى يَخْنُقَـانِ الْكَلِمَـةَ فَيَصِيـرُ بِـلَا ثَمَـرٍ**»

(متى ١٣: ٢٢). تُمثِّل هذه البذار فِئةٌ مِن الأشخاص الذين يسمعون ويقبلون الكلمة أيضًا، ولكنَّهم غارقون في هموم هذا العالَم. إنَّ هموم العالَم مِثْلَ الشوكِ «تَخْنُقُ الكلمة».

أخيرًا، يقولُ يسوع: «**وَأَمَّا الْمَزْرُوعُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ. وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ**» (متى ١٣: ٢٣أ).

مِن الواضح، إذًا، أنَّ هُناك الكثير مِمَن يستجيبون لرسالة الإنجيل بفرحٍ، ولكنَّهُم في النهاية لا يستمرُّون في الإيمان. لا يَخلُصُ كلُّ مَن يسمعُ كلمة الله، وينطبق الشيء ذاته على الكثيرين الذين استجابوا لها في البداية. فأولئك الذين خُلِّصُوا بصدقٍ هم الذين يُثْبِتُونَ أنَّهم عاملون بالكلمة. وفقط عندما تتأصَّل جذور البذار وتنمُو، تأتي بثَمَرٍ.